تقرير

**شوقي عشقوتي**
lionbars@hotmail.com

# ... وفي العراق أيضًا انتخابات: إنقسامات وتوازنات على صورة الصراع الإقليمي

**أوجه شبه كثيرة بين انتخابات لبنان وانتخابات العراق هذا الشهر: البلدان يشهدان انتخابات مهمة مفصلية وسط انقسامات سياسية وطائفية وتوازنات دقيقة، وفي ظل اوضاع هشة وتحولات اقتصادية وتحديات داخلية وضغوط خارجية. البلدان يقعان في خارطة الصراع الايراني ـ الاميركي وإن باشكال واحجام متفاوتة ومختلفة. البلدان يكملان عملية النهوض وتصفية رواسب الحرب ويسلكان المسار السياسي الديموقراطي في انتاج السلطة وتداولها، ولكن من دون نتائج باهرة وتغييرات جذرية**

تشكل الانتخابات البرلمانية العراقية المقبلة حدثا مصيريا للعراق والمنطقة، لأنها ستعيد رسم البلاد وتشكيل هويتها السياسية مستقبلا، وستحدد شكل الحكم ونوعية السلطة اكانت دينية ام مدنية. هذه الانتخابات تجري في 12 ايار في ظل تحديات ـ متغيّرات عميقة اجتاحت العراق، بعد مخاض عسير عاشه هذا البلد خلال الاعوام الاربعة الماضية اسفر عن تبدلات سياسية وتحولات اجتماعية وتغيّرات اقتصادية لا يمكن الاستهانة بها. هذا المخاض بدأ مع بروز مفاجئ لـ"داعش" وانتهى العام الماضي مع نهاية "داعش" الذي تخلله صعود "الحشد الشعبي" وانتكاس "المشروع الكردي" اثر الاستفتاء الفاشل.

الساحة السياسية العراقية لا تزال اسيرة استقطاب طائفي ـ قومي: سني ـ شيعي ـ كردي، على الرغم من تطعيم كل من التحالفات نفسها بوجوه مغايرة لهويته. هذا الاستقطاب سينعكس على سيرورة التصويت ونتائجه. ما جرى الحديث عنه خلال الاعوام الاربعة الماضية من تفاهمات وطنية عابرة للعرقية والمذهبية سقط، وبرز بشكل لا لبس فيه ان التناقضات في العراق ما زالت قائمة على اسس طائفية وعرقية ومناطقية وحزبية وجهوية، حيث المنافسة على السلطة محصورة بين ثلاثة تيارات شيعية هي تيار "نصر العراق" الذي يقوده حيدر العبادي، وقائمة "دولة القانون" التي يترأسها نوري المالكي، وتجمع "فتح" الذي يشكل مظلة سياسية للعشرات من فصائل "الحشد الشعبي" بقيادة زعيم منظمة "بدر" هادي العامري. التكهنات مفتوحة حول النتائج التي سينالها تحالف "الحشد الشعبي"، اذ يراهن قادته على شعبية طاغية نالها خلال المعارك ضد "داعش"، ومن غير المستبعد ان يحوز حصة في انتخابات 2018 تخوّله لعب دور "بيضة القبان" في اي خريطة سياسية ستتشكل ما بعد الانتخابات.

ما يجمع بين هذه القوى الثلاث، سعيها الى تحويل العراق الى دولة شيعية بهويته في كل المجالات، وان يغدو الامر الواقع واقعا سياسيا ودستوريا دائما. لكن الصراع بين هذه الاحزاب يبدو اكثر تعقيدا، خصوصا مع اعلان مقتدى الصدر انشقاقه عن التحالف الشيعي وتحالفه مع الحزب الشيوعي وتيارات مدنية ليزيد من محنة التحالف الشيعي، ما يعني احتمال ضياع نحو 30 مقعدا نيابيا، وبهذا سيخسر التحالف السياسي الشيعي الغالبية السياسية التي كان يحققها بعد كل انتخابات، فيما تتجه هذه المقاعد الثمينة نحو كتلة معارضة او لمصلحة تحالف مع المدنيين وقوى سياسية اخرى، بينها ائتلاف "الوطنية" بزعامة اياد علاوي.

في المشهد السنّي، يبدو ان محنة التشظي ما زالت مرافقة للاحزاب والقوى السنيّة، وان اخذ بعضها قرارا حاسما بالانضواء تحت لواء علاوي مجددا تحت وطأة المزاج الشعبي الذاهب نحو تيارات مدنية وليبرالية امتعاضا من الاحزاب الاسلامية، ويتمحور التنافس بين هذه القوى على المحافظات السنيّة. لكن هذه الاحزاب تجد نفسها امام نوع آخر من المنافسة. فالقوى الشيعية تمكنت من التغلغل الى عمق المدن السنيّة خلال انتشار فصائل الحشد فيها، وتمكنت من استمالة عشائر وشخصيات سياسية الى جانبها تشجعت لخوض الانتخابات في مناطقها. وتخشى بعض الاحزاب والشخصيات السنيّة من انخفاض تمثيلها في البرلمان والحكومة المقبلين، ومن سطوة الميليشيات الشيعية على الناخبين السنّة.

واما الانظار، فإنها تتجه الى مستقبل العلاقة بين اقليم كردستان والحكومة المركزية في بغداد بعد افشال الاستفتاء الكردي واحباط مخطط الاكراد في الانفصال والاستقلال، وتضييق الخناق على الاكراد وتحجيم دورهم، اضافة الى التحديات التي تواجه الاحزاب السياسية الكردية في تركيبتها وهياكلها. فالانتخابات المقبلة هي مثابة العودة الى الواقع والانتقال الى فضاء التنافس السياسي مجددا، انما من دون وجود الاعمدة القديمة التي كانت تتكئ عليها. وحالة التشرذم ستنعكس بالتأكيد على اداء القوى الكردية وكذلك على خياراتها وولاءاتها. (يبلغ عدد النواب الاكراد في البرلمان العراقي 60 نائبا من اصل 328 وهم مثّلوا على مدى 15 عاما عامل استقرار وبيضة القبان في التوازنات والمعادلات الداخلية).

هذا الوضع الداخلي "المتعثر" تحت مظلة صراع اميركي ـ ايراني بلغ اوجه في المشهد الانتخابي العراقي، ويأخذ أشكالا متنوعة منها الدعم المالي والاعلامي والسياسي. ادارة الرئيس الاميركي دونالد ترامب قررت مواجهة ايران والتعامل مع ذراعها في العراق "الحشد الشعبي"، اذ انها ترى في وصول ممثلي "الحشد" الى البرلمان خطرا

الاكراد يدفعون ثمن الاستفتاء الفاشل.

داهما سيتيح لهم فرض رؤيتهم كعنصر مقرر، مع ما ينطوي عليه ذلك من احتمالات مقلقة في ما يتصل بالنفوذ الايراني، والتواصل الحيوي بين العراق وسوريا، والتموضع الاستراتيجي عموما للعراق. وايران تعيد هندسة المشهد الانتخابي العراقي على مقاسها، بما يضمن ان تصب نتائجه في صالحها، وابقاء العراق تحت هيمنتها المطلقة، ذلك ان العراق يعد الحلقة الاهم للمشروع الايراني في المنطقة، وساحة للرد على مخططات اميركا والسعودية. وتقوم الاستراتيجيا الايرانية على محاصرة حيدر العبادي انتخابيا، فعمدت الى ابراز رجلها القوي في العراق قائد "الحشد الشعبي" هادي العامري على رأس كتلة انتخابية ستحصد ما يكفي من المقاعد ليكون الاقوى لتنفيذ مصالحها في العراق، وضبط ايقاع العبادي خلال السنوات الاربع المقبلة في ولايته الثانية.

لم تتوقف ايران عند هندسة الانتخابات في الوسط السياسي الشيعي، بل طاولت هذه الهندسة الوسطين السنّي والكردي، من خلال اختراقها رموزا في هذين الوسطين.

> **ايران متمسكة بـ"الحشد الشعبي" وترعى ثلاثية: العبادي، المالكي، العامري**
>
> **الصراع الاميركي ـ الايراني يشتد بعد الانتخابات**

يُعتبر العراق اكثر دولة من دول المنطقة التي يظهر فيها التنافس الايراني ـ الاميركي بشكل واضح، والصراع بينهما سيتفاقم بعد الانتخابات على خلفية من "يتسيّد" المشهد العراقي، حيث ستخوض الدولتان صراعا حادا على ملفات عدة: تشكيل الحكومة العراقية المقبلة وتحديد رئيسها المقبل، معركة السيطرة على الحدود السورية ـ العراقية، الى مشروع ايران الضغط والدفع في اتجاه انسحاب القوات الاميركية من العراق.

واستنادا الى كل ما تقدم من معطيات ومستجدات، يمكن الخروج بالاستنتاجات التالية:

• كل ما يجري لا يوحي بالتغيير وانما اعادة هيكلة للقوى العراقية التقليدية ضمن الاطار نفسه، وهذا معناه أن مشكلات البلد ستظل في انتظار حل ما زال في دائرة التمنيات.

• الصراع بين المالكي والعبادي هو صراع بين وجهتي نظر حول الهوية السياسية للشيعة العرب في المنطقة، ويرمز الى مدى إمكان ان يكون شيعة العراق في دائرة وسطية بين ايران ودول الخليج. ◄

• هذه الانتخابات تقدم فرصة لتوضيح ما اذا كان مستقبل الحشد الشعبي الموازي للدولة في العراق، سيذهب في اتجاه احتواء الدولة ام ان الدولة ستحتويهم.

• العراق مقبل على مرحلة تبدو ملامحها غير مريحة، ومن المتوقع ان يهتز الوضع الامني جراء حدوث صراعات ذات طابع عشائري في جنوبه، لكنه في الجوهر يمثل نزاعا سياسيا بين احزاب وكتل تبحث عن فرص النفوذ للوصول الى مواقع سلطوية او تشريعية متقدمة.

• من غير المتوقع ان تسفر الانتخابات العراقية عن تغييرات تساهم في تغيير صورة حقيقة ان العراق تابع لايران، وهو ما سيفتح الآفاق لرفع وتيرة الصراع الاميركي مع ايران في العراق، وربما يتخذ مسارات وسيناريوهات جديدة في ظل الاصرار الاميركي على مواجهة ايران.

• الانتخابات العراقية ستكون "أم معارك" الانتخابات التي ستجرى في المنطقة وذلك لجهة دلالاتها على مستقبل المسار الشيعي في المنطقة، ضمن معادلة الصراع الايراني ـ السعودي، ومسار حرب ترامب على النفوذ الايراني في دول المشرق.

• مصير بقاء القوات الاميركية سيكون الملف الاكثر الحاحا على جدول اعمال الحكومة الجديدة، وسيكون حاضرا في مفاوضات الغريمين واشنطن وطهران حول شكل الحكومة المقبلة. سيكون العراق في المرحلة المقبلة بين وضعين:

الاول، خروج القوات الاميركية من اراضيه ونجاح ايران في تحويله، وهو المدى الحيوي المباشر والاكثر اهمية لها، احد ابرز اعضاء "محور المقاومة والممانعة".

والثاني، حصول تقاسم نفوذ فعلي في العراق بين اميركا وايران لا يلغي ولا ينهي المشروع الاقليمي الطموح لايران الذي يوصلها الى شاطئ المتوسط، لتصبح على حدود اسرائيل وعلى تماس مع... اوروبا.

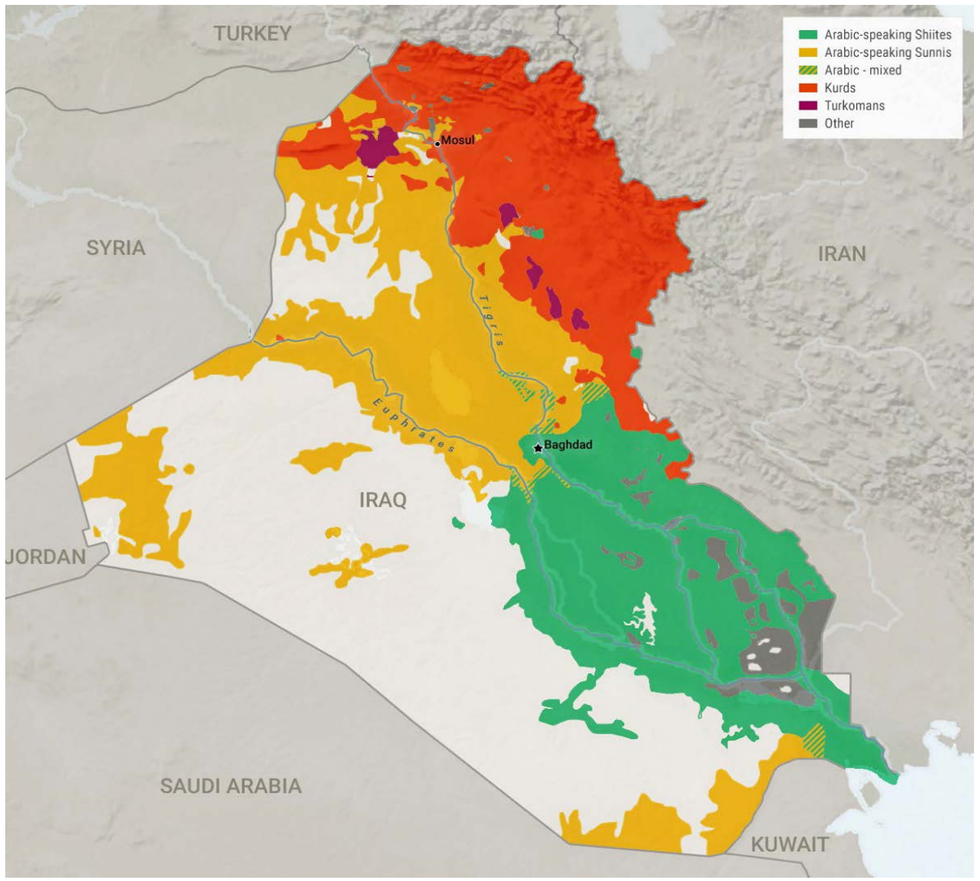


الساحة العراقية
اسيرة استقطاب
طائفي ـ قومي
ـ سني ـ شيعي
وعربي ـ كردي.